

# المقاومة بالكلمة

## بقلم محمد الجزائري

### في شهر رمضان توفيق زياد

وانطلاقا من هذا الفهم لطبيعة ودور الكلمة ، في الارض المحتلة ، تنسب اشعار المقاومة قيمة نضالية وانسانية كبيرة ، لانها الصوت الجماعي الذي يعمق رؤية ابعاد المعركة ويشخص وسائل وسبل التحرك . والنمو ، لتحقيق الانتصار وازالة عار النكبة .. والعدوان .. والقصيدة تحقق فعلها الانساني حين تتحول - بوساطة الصور والافكار - الى شرارة نورة تم الى قوة فعالة .. فالقصيدة هي الفعل الاول الذي يقدمه الشاعر المناضل في معركة الوجود والمصير ، انها تسبق بضميرها الاخرى ، لانها ترسم طريق هذه الضحايا . وتمهد لها ، الا اذا تحول الشاعر الى جندي باسل يحمل سلاحه الى جانب الوعي والكلمة .. اذ ذلك ، فستكون حياة الشاعر هي القصيدة الاروع .. وهي الفعل الناجز بأعلى اشكال التضحية والفداء .

وانطلاقا من اهمية الكلمة الواعية الانسانية ، والخبرة في المعركة .. تتجسد امامنا حقيقة كون شعر المقاومة ، فسي الارض المحتلة ، واقعا تحريكيا يعمل وينمو ويحقق افعاله وشروط انطلاقه من خلال عمله الانساني ، ومن خلال رد الفعل الجماهيري الذي يخلقه والذي يتحول من انصات جماعي ، الى عمل نوعي ، ضد قوات الاحتلال والعسف والاضطهاد ..

لذا فالاهمية الاولى التي يكتسبها شعر المقاومة ، فسي الارض المحتلة ، في تخطيه مكانية الارض ، وزمانية الاحداث ، .. وتجاوزه الحدود الاقليمية والانثارية ، ليحتوي من خلال تفاصيله ، التعبير الاكثر شمولية عن انسانية الانسان ، في صراعها وصمودها ، ضد كل وسائل السحق والابادة والاضطهاد :

« لاني لا احوك الصوف (X) »

لاني كل يوم عرضة لاوامر التوقيف

وبيتي عرضة لزيارة البوليس

للتفتيش و « التنظيف »

لاني عاجز ان اشترى ورقا

ساحفر كل ما القى

واحفر كل اسراري

على زيتونة

في ساحة الدار .. »

هذا الواقع الذي يصوره الشاعر بقصيدته « على جذع زيتونة » تخطى في المواجهة الواقع الاحتلالي الذي يعاني منه ابناء الارض المحتلة، الى واقع احتلالي عام ، الى ظاهرة العسف التي يعيشها احرار العالم ضد كل اجهزة القمع .. مع اختلاف مواقعها الجغرافية ، لان « نوعية » العسف واحدة ، في كل مجتمع مشابه بل ، وفي ظل اية حكومة طبقية ونظم استعمارية او باعثة ، او لا ديمقراطية عموما ..

لكن واقع المقاومة بالكلمة يتجسد في اكتسابه الطابع النضالي ، المتحدي ، اولا ، ومن ثم ، لكونه ينبع من ايمان عناصر المقاومة بالانتصار الحتمي .. لذا فالشاعر يجسد حقيقة فهمه للنهيات الحتمية التي يؤكد المسار التاريخي .. بصور مشبعة بالجزئيات المتكاملة عن

(X) اشارة الى مدام لافارج التي كانت تحوك اسماء خونية النسب لتقص منهم عند اندلاع الثورة الفرنسية .

صدر عن دار الاداب كساب بعنوان « ادب المقاومة فسي فلسطين المحتلة » للاديب غسان كنفاني وميزة هذا الكتاب انه يستنطق مسائل هامة عديدة :

١ - صدوره في ظرف نحن بحاجة ماسة للتعرف - جيدا - وبرؤية واضحة على معالم النضال الحقيقي داخل الارض المحتلة ..

٢ - تضمينه رسدا فكريا للادب اثوري الفلسطيني ( والشعر بخاصة) قدمه لنا المؤلف مرفعا ، ومزودا بالاستشهادات والنماذج الفنية الخيرة ..

٣ - احواء البحث على النظرة النقدية المقارنة بين الادب والشعر النضالي في فلسطين المحتلة ، وبين نتاجات الصهاينة .. ومن ثم بين المنطق الفكري والارضية التي يمتدداها كل منهما ..

٤ - ان مقومات الاستشهاد ، ومصادره ، واستقساء النماذج ، اخذت عن جريدة « الاتحاد » ونشرات جبهة « الارض » ، وهي تمثل الصوت الاكثر اخلاصا ، وتضامنا مع القضية الفلسطينية داخل اسرائيل ..

٥ - واجمالا .. ثبت البحث الواقع النضالي بصورة « المقاومة بالكلمة » في ظروف الازهاق والاحلال والعسف .. لا فسي فلسطين المحتلة ، حسب ، بل في اي زمان ، وعلى اية ارض مشابهة ..

\*\*\*

احتوى الفصل الثالث من الكتاب نماذج من شعر المقاومة ، لشعراء فلسطينيين يعيشون ويناضلون في الارض المحتلة ، في مقدمتهم الشاعر الشاب توفيق زياد من مدينة « الناصرة » والذي نتصمى لشعره في هذه المقالة ..

\*\*\*

المقاومة بالكلمة ، اسلوب من اساليب النضال الجماهيري، فالكلمة الثورية هي انعكاس واقع موضوعي متراحم ومضطرم باسباب وشروط الثورة ، في اتون معركة الشرف والمصير .. لهذا اكتسبت ابعادها الخاصة التي تتميز بالثورية والفكر اليساري عموما فتوابع السذي انبثقت عنه ، استوعب كل جزئيات الصراع الطبقي بين المضطهدين والمضطهدين في مسألة الارض ، والحرية .. وتبلور الصراع بين انسانية الانسان والواقع اللاانساني كنيض يتسم بالحدة ، والمواجهة ، الافناء والابادة مقابل الصمود ، والشئب للبقاء .. التوسع الانتحاري مقابل العودة .. لذا فان هذه المعطيات منحت الكلمة لونها النضالي القارم .. بحكم استيعابها ابعاد العمل الثوري الساعي للتغيير .. والذي مسد جنوره بالوقائع اليومية والاحداث، وارتباطها بقضية الجماهير الكادحة المسحوقة والمضطهدة في الارض المحتلة ..

والكلمة ، تعمل ، في الارض المحتلة ، وسهم في ايضاح وعميق ودفع ونفذية ارضية الجبهة النضالية بزخم منظم ، للسمي في استكمال وسائل وابعاد النضال اليومي ، والبعيد المدى ، وتحريك الجو بكسل وسائل العناية والانارة والتحريك ، وتنضيج عمليات التعبئة والمواجهة، في معركتنا الانسانية .. ليس ضد الوجود الصهيوني المحتل ، حسب، بل وضد الوجود الاستعماري ، والرجعي الحليف ..

لذا فالكلمة حين نجد طريقها الى الجماهير المناضلة ، وتتغلغل في اذهانها ، تتحول الى منظم جماعي .. والى قوة مادية فعالة ومفيرة ..

قصة الإنسان المعذب ، والمكافح ، في وطنه :

(( ساحفر قصتي وفصول مأساتي

وأهاتي ..

على بيارتي ، وفبور امواتي

واحفر كل مر ذقته

يمحوه عشر حلاوة الآتي ! ))

والاشراق الثوري تبلوره الكلمات الاخيرة في المقطع اعلاه ، وهو السمة التي يحقق آدب المقاومة وجوده من خلالها .. وهذه السمة ، عامة وانسانية وذات بعد اممي في ذات الوقت ، لكونها تكتسب صفاتها من خلال تفاصيل حياتية ومجتمعية ، ونضالية ، موجودة ، وعامة :

(( ساحفر رقم كل قسيمة

من أرضنا سلبت

وموقع قريني وحدودها

وبيوت أهليها التي نسفت

واشجاري التي اقتلعت

وكل زهيرة برية سحقت

واسماء الذين تفننوا

في لون اعصابي وانفاسي

واسماء السجون ، ونوع كل كلبشة

شدت على كفي

ودوسيهات حراسي

وكل شتيمة صببت على رأسي ))

وهذه الجزئيات والتفاصيل لا تجسد لنا صورة محلية عن العسف والنضال .. فالسجون موجودة وتحتضن الناس الخيرين في كل البلدان التي تضطهد حكوماتها الفكر التقدمي .. فهي ليست تجربة الارض المحتلة وحدها .. بل كل المواقع التي يصارع فيها الانسان ، عدوه ، من اجل المستقبل الافضل والقيم والاهداف الانسانية .. حتى لتكاد هذه الجزئيات تتقارب وتتجم مع (( الانسان )) كوجود مضطهد وكظاهرة عامة .. وهذا يؤكد انسانية الكلمة المقاومة ، ورؤيتها الثورية ، وفكرها اليساري ، في تناولها الواقعي وشحنتها النضالية ..

والميزة الاخرى التي يتميز بها شعر توفيق زياد .. هي روحية الصبر الكفاحي وطول النفس الذي يمتاز بهما المناضل الثوري الصامد ..

(( على مهلي ..

اشد الضوء خيطا ريفا

من ظلمة الليل ..

وارعى مشتل الاحلام

عند منابع السيل

وامسح دمع احبابي

بمديل من الفل

واغرس اندر اللوحات

وسط حرائق الرمل

وابني للصعاليك الحياة

من الشذا والخير والعدل

وان يوما عثرت على الطريق

يردني أهلي .. ))

هذا التمهل الصابر وهذه المشاركة الفعلية في صيغة افق المعركة والمؤدية للانتصار .. يتبلور ، بصور فظنه ، تحمل ذكاء الانتقاط ودقة التفاعل على مجموع خطوط اللوحة .. ابتداء من استقاء الضوء من ظلمة الليل وشده ، ( أي محاولة تجميع كل قوى الخير والنضال .. ) الى محاولة العثور على المنتهى ، والطريق ..

هذه الصلاة النضالية التي تناجي الطبيعة والانسان ، تحقق في داخل الشاعر ، ترسيبات كاملة تتجمع ، وتتحرك ، حتى تصل درجة الانتقاد فتشتعل :

(( على مهلي ..

لاني لست كالكبريت

أضيء لمرة واموت

ولكني ..

كنيران المجوس ، أضيء

من مهدي الى لحدي

ومن سلفي الى نسلي

طويل - كالمدي - نفسي

وانقن حرفة النمل .. ))

وهذا التجسيد المكثف الذي توضحه صور قصيدة (( نيران المجوس )) تمثل به البساطة العميقة في تناول ، والتي تمد جذور الصورة بطاقة سيكولوجية عالية ، وتفديها بنسخ جديد ، تلکم هسي طاقة المناضل الواثق من نفسه ، والمدرك لابعاد قضيته ، والواعي لسبل كفاحه ، والمتمسك بالامح دربه الطويل .. والذي يلمس عثار المسير والاشواك .. ويتحسس كل الصعاب بعوي منظم صابر .. ومن هنا فهو (( يتقن )) (( حرفة النمل )) بما تحتويه هذه (( الحرفة )) من نشاطية ومثابرة وعمل دؤوب .. لان الشاعر ، يدرك ، من خلال مواقع المقاومة بالكلمة ، ان التاريخ يعرف وظيفته :

(( على مهلي ..

لان وظيفة التاريخ

ان يمشي كما نملي

طفاة الارض حضرا نهايتهم

سنجزئهم بما أبقوا

نظيل حبالهم ، لا كي نظيل حياتهم

لكن لتكفيهم

ليثشنقوا .. ! ))

وهذه الصياغة للحمية التاريخية ، تنشأ - عند الشاعر - من فكر مادي دياكتيكي ، ومن استيعاب لحركة قوانين الحياة ، ورؤية واعية للحاضر ، والماضي .. والمستقبل ، ذات تجربة تاريخية .. لذا فالمقاومة بالكلمة - هنا - مقاومة حقيقية ، واعية ، وعميقة الجذور ، لذا فهي ترسم سفر تكوينها الحتمي ، ولا تهمل ان تضع نهايات الطفافة في مكانها المعروف ، لكيما تتم طبيعة التوازن الفكري في اللوحة التي رسمها الشاعر .. ولكيما تحمل القصيدة معادلتها الموضوعي ، الذي يعطي ، في النتيجة ، حكمه القاطع ، بنهاية الطفافة وانتصار الانسان وقضيته العادلة .. وهذه ميزة اخرى عمقت في قلوبنا الحب لهذه الاشعار الثورية الهادفة .

والقصائد ، كقصائد مقاومة ، تحكمت في صياغة تكتيكية واستراتيجية ، شعريا ، بشكل متكامل الثورية ، ابتداء من عملية (( حياكة الصوف )) رمز العمل الساخط ، المنظم ، والدقيق والصابر الى (( اطالة الحبل )) .. لكي تكفي لشنق الطفافة .. العملية ، اذن ، تحتوي بعدها الزمني ، وتخطيط افعالها ، بنمو طيب وهادئ ، ومصمم لكيما تحقق نتائجها التاريخية ، بعسدة عن الانفعال العاطفي ..

ان شاعرا يمتلك هذه القابلية في تجسيد فكره الثوري بصياغات شعرية بعيدة عن السقوط بلغة الشعارات .. ان شاعرا يعيش ظروف العسف ، والمقاومة . لا كإنسان حسب ، بل يعيشها مصير اممة ، وقضية وطن ، انتفاضا واعيا ، هادفا ، ومنظما - ان شاعرا كهذا ، لهو التكامل الجيد والتطابق الكبير بين الشكل والمضمون الثوريين للمقاومة عملية كبيرة ، لا للقصيدة كوحدة منهجية ذات بناء ثوري متكامل ، بل وعمل شعري عام وانساني .. وهذه هي الميزة الاخرى لهذا الشاعر بالذات ، ولشعر المقاومة ، أيضا ..

(( فالادب والفن .. ليسا نشاطا فرديا محضا .. بل هما نشاط اجتماعي انساني ينبع من الفرد بوصفه كائنا اجتماعيا يمارس الحياة

الجماعية ، وينفعل بأحداثها ويتأثر وجدانه بحقائقها الموضوعية ويؤثر هو بدوره فيها على قدر وعيه لقوانين تطورها ، وعلى قدر فهمه لضرورتها الاجتماعية » .

اما الافق العالم .. افق التمني المشروع الذي يجمع الشاعر فيه خطوط طموحه الاجتماعي كشاعر قضية ، تفترض وجود مطالب واهداف انية وبعيدة المدى تصاغ بشعارات .. لكنه يعبر عن كل ذلك في « احب .. ولكن » هذا الوجود المتصالب بين الاهداف ومحاولات تحقيقها ، وبين العقبات ، كوجود استعماري - احتلالي - صهيوني .. يصوره الشاعر من خلال تفاصيل جذابة وثائرة يحتفظ من خلالها بأصالته وبراعته في التناول والتكثيف ، وتحويل الشعار الى واقع منظور من خلال الصور ، لا من خلل الكلمات المباشرة :

« احب لو استطعت بلحظة

ان اقلب الدنيا لكم راسا على عقب

واقطع دابر الطغيان

احرق كل مفتصب

واوفد تحت علمنا القديم

جهنما مشبوبة اللهب

واجمل افقر الفقراء

ياكل في صحون الماس والذهب

ويمشي في سراويل

الحرير الحر والفضب

واهدم كوخه ، ابني له

فصرا على السحب .. »

ان واقع التمني الذي يمد الثوري برؤيه مستقبلية متفائلة يبررها كتطلع مشروع من خلال سلوكه النضالي .. هذا التمني .. يبقى الحلم الذي يضح في خيال وفكر الشاعر المناضل ، حتى يتحقق عمليا ، من خلال النضال ، والمقاومة ..

والشاعر القانوم بالكلمة في امتلاكه لرؤياه الثورية ، ينبع سلوكه من يقين بالنصر ، ويوطد يقينه هذا بمقومات فكرية صائبة تماشى مع واقع التحولات الاجتماعية الكبيرة التي تتمخض عن نضالات الشعوب ، والتي تشكل ركيزة تضامنية مع مقاومة الشاعر ، بالكلمة ، والعمل والفصية الفلسطينية كمنطلق وكهدف نضالي يجمع كل الصرب ويصهرهم في بوتقته ..

هذا الشاعر يحدد ، شعريا ، هذه الرؤى ، بموقف واضح تجاه كل اسباب الشقاء ، ومن ثم يتبع طريق الكفاح الدائب لخلق البديل الثوري واجهزة الحكم والانظمة التي تحقق الجنة على الارض ، وتبني الاشتراكية ، لكيما - يستطيع كشاعر - « هدم اللوح » - النظام القديم . ويجاد البديل الثوري « القصر على السحب » - النظام الجديد - من خلال عملية « قلب الدنيا » .. هذه النظرة ليست « انقلابية » بالفهم السلبي - اندموي . لانقلابات .. لكنها ثورية تعني تغيير العالم ، .. انه يفلسف موقفه لا على اساس فهم الواقع ، حسب ، بل والسعي لتغييره ..

« لكن .. » لكيما « يوقد » تحت « العالم القديم » « جهنما مشبوبة اللهب » يحتاج الى وسائل واساليب كفاحية عالية ، السى نضال دائب ، اى تسجيل الموقع بعد الموقع في معركة التحرير .. الى قاعدة جماهيرية متلاحمة ، وعمل دائب للطاحنة بالانظمة البالية ، والمنعنة ، التي تفرق جماهيرنا العربية بقيسود السسف والظلم .. والانظمة الاخرى ، المستاترة بالحكم ، ذات الصفة الديكتاتورية ، لانها ، ايضا ، وبشكل او باخر تسهم في ابقاء الاوضاع الاحتلالية في فلسطين مدة اطول .. ومن هنا فهو ، لا يسعى لازاحة قوى العدوان والاحتلال عن الارض الفلسطينية ، بل ويهدم على رؤوس كل الفاصيين قصورهم الورقية التي تفج نارا ودمارا لجماهيرنا الكادحة ..

هذه الصور المتراخمة تتلاحم لتكون الهيكل العام لقصائد الشاعر،

في بنيتها الثورية . وفي حداثها وعنفها ، ولكنه - في ذات الوقت - يلون قصائده بفتائية عالية ، وفي تناغم هارموني متكامل ، لتبدع سيمفونية الثوار ، في تطلهم الشريف للعالم الافضل .. لكن هذه التطلعات وهذه المساعي والنضالات ، تقف أمام الشروط المادية ، للواقع الموضوعي والذاتي ، .. وتواجه كل مسببات الاضطهاد والسف والوانهما ..

لكن الشاعر - كثوري - يتخطاها في رسم اسباب ازالة هذه المسببات ، ازالة العدوان وفواه واناره .. والذين يسهمون في بقائه .. وهو يعي هذه المقومات والمواقف جيدا :

« ولكن للامور طبيعة

افوى من الرغبات والفضب

نغاد الصبر ياكلكم فهل

ادى الى ارب ؟ »

ويتكشف هذا التصعيد في التطلعات المشروعة والرغبات الفاضية، لكل المسحوقين والمضطهدين ، النافدي الصبر .. لكن الشاعر لا يخدرهم ولا يخدعهم بالاماني .. انه يضع امامهم شرائح الواقع ، لكيما يكون النضال لازاحة وتغيير هذا الواقع ، علميا لا عاطفيا ، ولكيما تكون النتائج مثمرة .

هذا الشاعر ، اذن ، يمتلك رؤيته الثورية السلمية للاحداث وللواقع .. وكذا ما يفتقده اليوم ، وافتقده بالامس - ايضا - حتى بعض فادة النظم التقدمية في البلدان العربية ..

والشاعر ، هنا يتصف بالنفس الطويل والصبر الذي يمتلكهما المقاوم الباسل .. « ولكن للامور طبيعة افوى من الرغبات والفضب » .. وهنا تكمن الميزة الاساسية في ثورية الشاعر .. ليس كداعية ، او كثوري « منغل » بل كثوري فاعل ..

ومن هنا يصعد النداء العام لكل الناس الذين يحبهم لتحديد طريق النضال - بالجماهير الكادحة لانها صانعة التاريخ ، وخالقصة المعجزات :

« صعودا ايها الناس الذين احبهم

صبرا على التوب

ضعوا بين العيون الشمس

والفولاذ في العصب

سواعدكم تحقق اجمل الاحلام

تصنع اعجب المعجب ! »

هذه الصيغة الجماعية التي استعملها الشاعر ، نابعة من ايمان الواقعية الاشتراكية بالجماهير ومن معارضتها الفعالة لعبادة الفرد ، واعتمادها على الجماهير ، تصنع مستقبلها بالارادة والعمل الثوريين .. لذا فهذا التكامل الذي حققه الشاعر ، بالصور ، يطابق افكاره الايديولوجية ، واهدافه وهو المشأ والركيزة الواعية التي تقف عندها ابعاد « المقاومة بالكلمة » .. فالعمل الثوري يجب ان يعتمد على ايدولوجية ثورية ، تنظم سبل النضال ، والمقاومة ، واستكمال شروط العمل الجماهيري .. وبدون نظرية ثورية مرشدة يظل العمل اعمى .. وتصبح المقاومة عملا غير ممنهج ، وغير هادف .. ولا تحقق انجازها الثوري بشكل جيد ..

وشاعرنا يملك امكانية تقييم الحقائق الموضوعية ، وامكانية تحليلها ، من خلال امتلاكه لايدولوجية ثورية .. لذا فهو يدرك ابعاد البستحيل في خسارة الانسان لقضيته ، لان الانسان لا يمكن ان يخسر قضيته العادلة مهما مرت الاعوام ، ان هو ناضل ، واستمر في نضاله بوعسى منظم .. فالحقائق الموضوعية لا يمكن ان تتحول الى مواقع مضادة ضد عدالة اية قضية الا اذا اسيء استعمالها واستقلالها ، وفههها ..

« أهون الف مرة ..

ان تدخلوا الفيل بثقب ابره

وان تصيدوا السمك المشوي في المجره

ونشيد الأشعار وهي تمثل « الثبات الابدولوجي »  
 - ثم تتصاعد عملية الدفع الثوري والمقاومة بالكلمة فتنحول الى  
 المقاومة بالعمل : نملا الشوارع بالظاهرات  
 - وتزداد حدة الموقف النضالي قوة وضراوة : ونملا السجون  
 .. كبرياء

- ثم تتركز الطبيعة الثورية وتمتد جذورها في الارض والناس  
 والتاريخ : ونصنع الاطفال جيلا بعد جيل . هذا التطور الثوري في  
 اساليب الكفاح ، ينبع من حضارية الشاعر ، وانسانيته التي يحرص  
 عليهما حتى وسط الجو الاحتلالي العنيف .. ليظل يحرس « التين  
 والزيتون » رمز انسانية الشاعر وحضارته :

« انا هنا باقون

فلتسربوا البحر

نحرس ظل التين والزيتون »

وعبر ، هذا الاصرار ، تتبع الرؤية التطلعية لاستعادة الارض  
 المحتلة ، ورجوع الشاعر سيدا على ارضه ، كما كان ، وكما يجب ان  
 يكون .. لذا فهو يظل يناضل ويناضل ، مع الجموع الثائرة ويحمل  
 في صلبه ، صبر المناضل وغضبه :

« ونزرع الافكار كالخمير في العجين

برودة الجليد في اعصابنا

وفي قلوبنا جهنم حمرا »

ويرسم صورة التحدي ، والمثابرة على النضال ، بتصاعد متناغم في  
 الصور الثورية :

« اذا عطشنا نصر الصخرا

وناكل التراب ان جعنا

ولا نرحل ..

وبالدم الزكي لا نبخل

هنا : لنا ماض

وحاضر

ومستقبل »

بهذه العزيمة الجبارة : « لا نرحل .. » وبهذا القدر الكبير من  
 التضحية : « وبالدم الزكي لا نبخل » تتحقق افعال الثورة ، بعد ان  
 تنضج شروطها الذاتية والموضوعية ، فحين يلازم المناضل الثوري مناخ  
 العمل ، فيخلق منطلقاته ، ويدفع العجلة الى امام .. تتبلور صورة

صدر حديثا

ثائر وحب

ديوان شعر

للدكتور ابو القاسم سعد الله

دار الاداب

ان تحزنوا البحر

ان تنطقوا التمساح .. »

وهذه التداعبات في صور الحقائق المستحيلة يخرج بها الشاعر ،  
 في منطقتي تحليلي صائب ليؤكد نتيجة منطقية يفرضها طريق النضال :  
 « اهون الف مرة

من ان تميتوا بأصطهادكم وميض فكره

وتحرفونا عن طريقنا الذي اخترناه

فيد شعره .. »

وهذا الاصرار البطولي العنيد يشكل شاخصا ثوريا من شاخص  
 « المقاومة بالكلمة » لان التجنيم يحدد ملامح اللوحة ، علسى الصيغة  
 التالية :

« كاننا عشرون مستحيل

في اللد والرملة والجليل »

وكان من الضروري ان يقول الشاعر « لاننا » بدلا من « كاننا »  
 ليسنكمل صورة الاصرار البطولي الفعلي في الوجود القائم .. لان هذا  
 الوجود هو واقع موضوعي .. يميز طبيعة المقاومة في الارض المحتلة :

« هنا على صدوركم ..

باقون كالجدار

وفي حلوقكم

كقطعة الزجاج .. كالصبار

وفي عيونكم

زوبعة من نار .. »

وبعد تأكيد الشاعر ، اصراره والذي هو اصرار المقاومة ، فسي  
 ضرورة البقاء لصق الارض وفي تحد دائم للطاغوت ، يكر قيم الاصرار  
 من خلال تكرار « نوع » « الفعل » بصور متنوعة تهدف وتمحق « الحضور  
 الثوري » وابعاد المسألة .. « كقطعة الزجاج .. كالصبار ..  
 والزوبعة .. »

وينتقل ، في تبيان ، نفس الحقائق « النوعية » ، بصور اخرى ،  
 بالبدل السلبى المقابل الذي يقدمه الطفاة كاسلوب يطيل في بقائهم ..

« هنا على صدوركم باقون كالجدار

نجوع ، نعري ، نتحدى

نشيد الاشعار

ونملا السجون كبرياء

ونصنع الاطفال جيلا ناقما

وراء جيل .. »

وهذه ميزة اخرى في شعر المقاومة ، فالاصرار « النوعي » يثمر  
 « تفاصيل كمية » .. تتحول هي بدورها الى وجود نوعي جديد ..  
 « اجيال الاطفال الناقمين » ..

اما العديدة في « العشرين مستحيل » ، فهي ترتبط بنوعية  
 النضال ، ونوعية صنع الاجيال ، لتلون المعركة بالترايب العضوي  
 والديناميكية والاستمرارية ..

ان هذه الصور ، تحدد لنا بان المعركة ليست معركة « نوعية »  
 الاحتلاليين والاجهزة القمعية ، حسب ، بل ، « عدديا » ، هي معركة  
 المواجهة لخلق السخط المنظم الذي يولد جيشه الخاص ، جيلا بعد  
 جيل ومن جديد .. فان هذه الملحمة الانسانية التامة : المقاومة ..  
 تتجسد رائمة من خلال كلمات الشاعر ، وفي مضامينه الواعية لمسارها  
 وابعادها الثورية .

- فالشاعر يبدأ بأسلوب جزمي تكتيكي : باقون كالجدار ..  
 وهو يمثل « البقاء »

- ثم يطور اساليب النضال من خلال ردود الفعسل والنتائج :  
 نجوع ، نعري .. وهي تمثل « التضحية »

- ثم في عنصر المواجهة لهذه الاساليب : نتحدى « بالصمود »  
 - ثم يطور هذا المسلك الكفاحي لينقله الى التعبية بالفكرة :

# الى زوجه السهرير

- ١ -

تودّ عين نسرک العظیم ..  
وانت تعلمین ..  
بأنه ، المحال ، أن يعود ..  
لانه أراد أن يعيش ..  
وان تعيشي بعده ..  
شموخة الجبین ..  
في تربة تفيض كبرياء ،  
من بعد ما تسبحت ، بأنهر الدماء ..

- ٢ -

صري له زوادة الوداع ..  
بقبلة مبحوحة الصدى ،  
وضمة ندية الذراع ..  
شدي على يمينه القوي ..  
« الى اللقاء » يا فارسي الشجاع ..  
في موطن جنوده ، لمجده قلاع ..

- ٣ -

سيعلم التراب في سفوحنا ..  
ويدرك الشموخ في القمم ..  
بأن كل ذرة ،  
من أرضنا علم ..  
نذود في ظلاله  
ونشرب اللهب في نضاله

وننتهي كومضة الصباح ،

في رماله ..

ليبدأ الخلود ..

يفرع الفصون من جديد ..

ويستقي من مهجة الشهيد ..

ضياءه الواضح ..

فتستمر شعلة الكفاح ..

وميضها لا يختفي ..

سراجها لا ينطفئ ..

تركع دون مجده الرياح ..

- ٤ -

صري له زوادة الامل ..

وشكي في قلبه الغتي ..

تاريخنا العتي ..

وحمليه ذكريات الفرح ..

العرس ، والحناء ، والمرح ..

ومزومات الكأس والفنا ..

وسهرات اللهو والهنا ..

في بيدر المنى ..

وقربي لعينه أشعة الخلود ..

والهبي بنبضه العنيد ..

حماسة الرجال ،

ونخوة ، بمثلها يعمر الرجال ..

اذا تهاوت ، قلعة الصمود ..

- ٥ -

اذ ينتهي ..

لا تذر في الدموع ..

غروبه مطالع الشمس ..

وليله توقد الشموع ..

رداك ، أن من أراد أن يهب ..

لا يطلب الجزاء ..

لانه من شعلة العطاء ..

توهج لا يعرف التعب ..

كأنه ، مدامع السماء في الشتاء ..

هل تطلب الجزاء ؟

شعارها ، ان يستحم الورد في

الحقول ..

وتمرع الطيوب في الربا ..

ويزهو الصبا ..

كذلك الشهيد ..

حياته مواسم ،

لا تعرف الحدود ..

وموته لشعبه ، خلود ..

(صوفيا) صابر فالحوط

وكانت لوحات عامرة ، بتحدى المناضلين لكل الطغاة والانظمة  
الصفية ، من خلل صور البسالة والصمود والاستعداد النضالي  
العالي للمقاومة ..

ان شعبا ينجب شاعرا ومناضلا يمتلك هذه الطاقات الخيرة  
والرائحة ، ويبرر وجوده بتحويل افكاره الى واقع ملموس ، بالنضال  
اليومي الدائب .. وبالمواجهة النعالة ، لهو يغطي للمقاومة بالكلمة عمقا  
جديدا ، هو انها التعبير الاكثر دقة عن المقاومة بالسلوك .. ايضا ..  
عن المقاومة الباسلة ، للمناضلين ، الثوريين ، المفكرين والمطبقين في  
ذات الوقت ..

ان هذا الشعب .. لهو شعب حي .. وان الشعب الذي يواجهه  
ابطاله ، وهم تحت ظلال حراب المحتلين ، وفي خضم النار والعذابات  
والتشكيل والمسانق بهذا الوعي الثوري المتصاعد ، لايعاد قضيتهم ،  
ليمكن انه يخلق المعجزات ، من خلال المستحيلات التي يضمها امام  
العدو ..

ان توفيق زياد ، شاعر وانسان ، ومناضل باسل ، حقق بالكلمة  
مقومات المقاومة واساليبها وهذا حسينا .. ففيه المثل الرائع لابناء  
فلسطين البواسل الذين يواجهون الواقع الاحتلالي ببسالة ، وعليهم  
وحدهم - كأساس - مهمة انجاز الثورة في داخل ارضهم ..

محمد الجزائري

بغداد

الثورة في اذهان المناضلين ومن ثم تتحول الى واقع موجود .. وفاعلية  
متحركة ، اذ ذلك ، وحين تستكمل الثورة شروطها ، لا يبقى امام  
المضطهدين الا ان يحضمو القيود والافلال ، لينطلقوا من مواقعهم  
العصدة ، ومن اصولهم العميقة ، في عملية تسجيل انتصاراتهم  
ومكاسبهم ..

« يا جنرنا الحي تشبث

واضربي في القاع يا اصول .. »

وفي ختام قصيدة « المستحيل » يجدد الشاعر ، النتائج الحتمية

التي يصنعها التاريخ ، ويخلقها الفعل الثوري :

« افضل ان يراجع المضطهد الحساب

من قبل ان ينفلت الدولاب

لكل فرد رد فعل

اقرأوا ما جاء في الكتاب

كأننا عشرون مستحيل

في اللد والرملة والجليل »

وكان « الكتاب » في النهاية ، هو انجيل الثورة . لنا فهو يحدد  
النهايات ، كما حدد البدايات برؤية متمكنة من التحليل العلمي ، الواعي،  
متميزة بالوضوح والثورية ، ومشحونة بجديلية عالية ضمنها ، الشاعر ،  
ردوده على تحديات المستعمرين ، والصهاينة المحتلين ، وافكارهم ..